صدر حديثًا

مأساة أقلية: شعب الموريسكيين

الدكتور / الدكتور

خضر السرحان / عبد اللطيف عبد الغني مشرف

صدر حديثًا

مأساة أقلية: شعب الموريسكيين

عنوان الكتاب: مأساة أقلية: شعب الموريسكيين.

المؤلّفان: د.خضر السرحان، د. عبد اللطيف عبد الغني مشرف.

الناشر: دار البشير، دار الشروق الكويتية.

الطبعة الأولى: ٢٠٢٤.

عدد الصفحات: ١٩٣ صفحة.

حجم الكتاب: من القطع المتوسط.

نبذة عن المؤلفين:

- الدكتور خضر السرحان أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة آل البيت في الأردن.
- الدكتور عبد اللطيف عبد الغني مشرف أستاذ مساعد في التاريخ الحديث والسياسي بجامعة ماردين آرتوكلو في تركيا.

نبذة عن الكتاب:

مأساة أقلية: شعب الموريسكيين"، أكّد د. مشرف أن الكتاب قد سبح في المصادر المعنية خلال تلك المأساة لاستخراج العبر والدروس وتقديمها للأجيال القادمة.

وبدوره يؤكد الدكتور عبد اللطيف مشرف أنه سعى في الكتاب الأول «الموريسكيون في إسبانيا .. قصة الطرد الأخير»، إلى وضع أيدي الباحثين والمهتمين بالتاريخ الأندلسي على جوانب عديدة، ووثائق جديدة، ومعلومات مفيدة؛ ليصبح إضافة جديدة وثرية لمكتبة الدراسات الموريسكية.

ورصد الكتاب مأساة الأندلسيين المُنصّرين خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين، وتحديدًا بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الفردوس المفقود "الأندلس"، وذلك عام ١٤٩٢م؛ فبعد هذا التاريخ شنت إسبانيا عملية اضطهاد كبيرة ضد المسلمين، رغم أعدادهم ومكانتهم الكبيرة سواء الاقتصادية أو السياسية داخل الأراضي الإسبانية.

وأضاف مشرف أن السلطة الحاكمة في إسبانيا قد أطلقت عليهم لفظ "موريسكُس"، وهم المسلمون الذين أُجبروا على اعتناق المسيحية بعد سقوط الأندلس، ثم مارست عليهم عمليات الاضطهاد الكبيرة من خلال محاكم التفتيش، التي استخدمت كل وسائل التعذيب تجاه المسلمين؛ لإجبارهم على التنصر

ورغم هذا التضييق تطرق الكتاب لمقاومة المسلمين وتحدي التعذيب والاضطهاد من أجل التمسك بعقيدتهم الإسلامية، وهويتهم العربية من خلال عدة ثورات، فضلا عن قصة اتخاذ قرار الطرد الأخير عام "١٦٠٤- ١٦٠٩م"، وأثر قرار الطرد على الاقتصاد والمجتمع الإسباني، ومعاناة هذه الفئة المقاومة، ومصيرها بعد قرار الطرد، ومن هنا أنطلق هو والدكتور خضر في تحليل تاريخ الموريسكيين وأحداثهم وربط هذه الأحداث بواقع اليوم ليجعلوا من التاريخ أحداث تفاعلية تفسر الحاضر وتستشرف المستقبل، ليتم وضع حجر الأساس لما يسمى التاريخ التفاعلي، ومن هنا ظهرت فكرة كتاب مأساة أقلية " شعب الموريسكيين".

وأكدا أن مأساة الموريسكيين في نهاية القرن التاسع الهجري-الخامس عشر الميلادي، لم تكن وليدة سقوط مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، بل كانت امتداد لمأساة أخري هي مأساة المُدجنين، والمُدجنون أو "المورو" هم المسلمون الذين بقوا في الأراضي الأندلسية التي سقطت علي أيدي الممالك المسيحية الإسبانية قبل سقوط غرناطة، وتعرضوا للاضطهاد الديني والعنصري من قبل الإسبان، وكانوا يقطنون بأعداد كبرى في مناطق شرق الأندلس، ولاسيما مدينة بلنسية "فالنسيا" التي شهدت العديد من ثورات المسلمين منذ القرن الثالث عشر.

وأضاف أن وجود مملكة مستقلة في غرناطة كان يمثل الضمانة الأخيرة لحقوق المسلمين في جميع أرجاء شبه الجزيرة الإيبيرية، وكانت هذه المملكة بوصفها دولة إسلامية تتفاوض مع الممالك الإسبانية المسيحية وهي: (قشتالة، وأراجون، ونافارا، والبرتغال) علي معاملة المسلمين باحترام، والسماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية، فلقد كان يوجد بين جموع المسيحيين في جميع الأوقات من يود لو يرى مزيدًا من المساعي لحمل زملائهم المواطنين المسلمين علي اعتناق المسيحية، لكن مثل ذلك الحماس الديني كان لابد أن يُكبح، لأن المسيحيين كان يمكن أن يجدوا أنفسهم في قبضة حكام مسلمين

وأشار مشرف، لقد كان هناك موريسكيون منذ العام ١٥٠٠م فصاعدًا يعيشون في الأقاليم القشتالية (قبل أن يُوجدوا في أراضي أراجون، ونافارا) وهم المسلمون سابقًا، الذين تعمَدوا في العلن، وغَدوا مسلمين في السر، تحت حكم المسيحيين لكن كلمة "موريسكي"، بحسب ما يذكر مشرف لم تكن قد أُدرجت في الاستعمال بعد، بل إنها لم تغدُ كذلك حتى أواخر ذلك القرن، ويطرح الكتاب سؤالا محوريا عن البحث في مسألة خطيرة: هل كان المسلمون أحرارًا في ممارسة دينهم في إسبانيا خلال القرن السادس عشر؟ ومهما يكن من أمر، فإن مصطلح الموريسكي قد اتخذ موقعًا راسخًا في الكتابات التاريخية، بحيث غدَا تجنبه مُدعاة لإثارة سوء الفهم.

ومن جانبه فقد ذكر الدكتور خضر سرحان أن كلمة "الموريسكيين" قد غدت شائعة الاستعمال حتى في الكتابات العربية، وربما يكون قد فات الأوان اليوم

لمحاولة استبدالها، ولكن من الواجب بذل كل جهد لتجنب ما قد تُحدثه الكلمة من مزالق مَذهبية، فمن هنا تحول هذا الشعب الأندلسي إلى أقلية مقهورة، بعد أن كانوا أصحاب حضارة، وأصحاب الكلمة في أراضي إسبانيا، ومعها البرتغال، فأصبح شعب الموريسكيين مأساة حقيقية؛ لذلك تم تسمية الكتاب "مأساة أقلية.. شعب الموريسكيين".

ويضيف أنه عند التدقيق في العنوان نتساءل كيف يتحول الشعب إلى أقلية؟، الحقيقة تكمن في توصيف الإسبان للموريسكيين على أنهم أقلية، رغم أنه بدراستنا للموضوع؛ وجدنا أن الموريسكيين إلى أن صدر قرار الطرد في حقهم عام١٦٠٩م لم يكونوا أقلية، بل كانوا شعبا صاحب حضارة، وتجارة، واقتصاد قوي، لكنه أصبح بدون سلطة أو حكم سياسي إسلامي؛ وذلك بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين على أراضي إسبانيا عام ١٤٩٢م، فبدأت سلسلة اضطهادات من السلطة، والكنيسة الإسبانية تجاه المسلمين، وبسبب عوامل التعذيب، والاضطهاد، والتضييق على معاشهم

هاجر الكثير منهم بعد سقوط غرناطة، فكانت هي ملامح التهجير الأولى، ورويدًا رويدًا، بدأ التضييق يزداد من قِبل محاكم التفتيش، فبدأ الكثير منهم يترك الوطن لينجوا بنفسه، وبعائلته، ودينه، ومن هنا أصبح عددهم يقِل، ومع ذلك ظل الكثير منهم متمسك بوطنه، ودينه، وعقيدته لآخر لحظة، إلى أن طُردوا جميعًا من إسبانيا، فأصبحوا أقلية بعد أن كانوا أعظم شعوب الأرض عِلما، وحضارة، ولعلنا اليوم نرى سيناريو الموريسكيين في واقع أمتنا، وواقع الأقليات الإسلامية في بلدان العالم، فمن هنا وجب سرد مأساة الموريسكيين، لاستخراج مآسي واقعنا الحالي لتتعلم الأجيال من التاريخ، لعلها تعي، وتفهم واقعهم.

ويذكر الدكتور السرحان: "تأتي بعض أوجه الأهمية في دراسة موضوع الموريسكيين، وبالتحديد دراسة "الموريسكيون في إسبانيا، واتجاهات هجرتهم"، كونه يفتح مجالًا رحبًا لدراسة التاريخ الأوروبي في علاقته بالتاريخ العربي والإسلامي، كما أن هذا الكتاب يعد إضافة نوعية إلى المكتبة العربية والعالمية ليقدم قراءة جديدة ومتأنية لهذا الموضوع الذي شغل بال الكثير من الباحثين في هذا الموضوع وفي هذه الفترة الزمنية.